الفصل الثاني

زيد بن ثابت

رضي الله عنه

obeikandl.com

obeikandl.com

زيد بن ثابت (رضي الله عنه)

نسبه ونشأته:

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار [١] قال الذهبي في وصفه : الإمام الكبير ، شيخ المقرئين والفرضيين ، مفتي المدينة أبو سعيد وأبو خارجة ، الخزرجي، النَّجاري الأنصاري ، كاتب الوحي رضي اللّه عنه[٢]. هذا ما وصف به الإمام الذهبي زيد بن ثابت الذي قلما وجد إنسان بمثل تفوقه وذكائه ودافعيته التي أهلته لتلك الإنجازات العظيمة .

وقد عاش زيد بن ثابت يتيماً من والده الذي قُتل يوم بعاث وهو ابن ست سنين[٣] ونشأ تحت رعاية أمه وزوجها عمارة بن حزم من بني النجار[٤] .

كان زوج والدته عمارة بن حزم رضي اللّه عنه ممن شهدوا بيعة العقبة الثانية من الأنصار وكان عددهم ٧٣ رجلاً وامرأتين وبعد رجوع المبايعين إلى المدينة قاموا بنشر الدين فبدأ عمارة رضي اللّه عنه بزوجته النوار[٥] .

ثم بولدها زيد بن ثابت فأسلما رضي اللّه عنهم أجمعين، وفي هذه البيئة المؤمنة الموحدة نشأ زيد بن ثابت منذ نعومة أظفاره فكان من توفيق اللّه له أن هيأ له المحيط الإسلامي، والوسط الإيجابي.

---

(١) الاستيعاب ١/ ٥٥١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٦ .
(٣) الاستيعاب ١/ ٥٥١ .
(٤) زيد بن ثابت ص ١٩ .
(٥) زيد بن ثابت ص ٢٦ .

البحث عن مواطن التفوق:

لقد تعددت مظاهر التفوق في العهد النبوي إلا أن من أبرزها الجهاد وطلب العلم فما كان من زيد بن ثابت إلا أن أخذ يبحث عن مواطن التفوق ليظهر فيه ما يمتلكه من قدرات .

في السنة الثانية للهجرة عندما خرج الرسول صلى اللّه عليه وسلم إلى بدر جاء زيد بن ثابت إلى الرسول صلى اللّه عليه وسلم وهو لم يتم الحادية عشرة وفي يده سيف يساويه في الطول أو يزيد عليه قليلاً ، ودنا من الرسول صلى اللّه عليه وسلم وقال : جعلت فداك يا رسول اللّه ائذن لي أن أكون معك وأجاهد أعداء اللّه تحت رايتك ، فنظر إليه الرسول الكريم نظرة سرور وإعجاب وضرب بيده على كتفه برفق وود وطيّب خاطره وصرفه لصغر سنه [1] وقد أعجب النبي عليه الصلاة والسلام من نجابته ودافعيته .

وعاد الغلام الصغير يجرجر سيفه على الأرض حزيناً ، وعادت من ورائه أمه النوار بنت مالك وهي لا تقل عنه أسى وحزناً ـ وعندما رأى الغلام أنه قد منع من أحد مواطن التفوق لسبب خارج عن إرادته ، تفتقت فطنته عن مجال آخر لا علاق له بالسن ـ يقربه من الرسول عليه الصلاة والسلام . ذلك المجال هو مجال العلم والحفظ .

فذكر الغلام الفكرة لأمه فهشت لها وبشت ونشطت لتحقيقها فحدثت بها بعض رجال قومها وكان عمره ذاك الوقت لم يتجاوز الحادية عشرة فمضوا به إلى رسول اللّه صلوات اللّه عليه وقالوا :

يا نبي اللّه ، هذا ابننا زيد بن ثابت يحفظ سبع عشرة سورة من كتاب اللّه ، ويتلوها صحيحة كما أنزلت على قلبك .

وهو في ذلك حاذق يجيد الكتابة والقراءة ، وهو يريد أن يتقرب بذلك

---

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٣٥٥ .

إليك وأن يلزمك فاستمع منه إذا شئت[١] .

وهنا نلحظ ذكاء وفطنة هذا الغلام عندما لم يوفق في مجال التفوق الأول الذي يشترك فيه الرجال وغاية كل مسلم وذلك لصغر سنه . تحولت نظرته إلى البحث عن مجال آخر يظهر فيه تفوقه وتميزه على أقرانه الذين أرجعهم النبي صلى اللّه عليه وسلم معه ولم يسمح له بالاشتراك في معركة بدر فكان اختياره موفقاً جداً في طلبه للعلم والاقتراب من النبي -صلى اللّه عليه وسلم-، ويبرز في هذا الموقف الدافع الداخلي عنده لطلب العلم حيث إنه لم يذهب إلى الرسول صلى اللّه عليه وسلم إلا وقد حفظ سبع عشرة سورة حتى يثبت للنبي -صلى اللّه عليه وسلم- كفاءته وإنجازه . ولم يكن ظهوره معتمداً على دوافعه الداخلية فقط بل كانت هناك دوافع خارجية وهي رغبة والدته وأقربائه وسعيهم الجاد عند رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- لكي يقبله في مجلسه ويعتني بتربيته وتنمية قدراته .

ومن هذا الموقف نأخذ بعض الدروس التربوية:

١ ـ أهمية دور الأسرة في مشاطرتها أبناءها في أفراحهم وأتراحهم فهاهي أم زيد ابن ثابت ترجع حزينة كئيبة لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يحقق لابنها ما يريد في الجهاد .

٢ ـ مؤازرة الأبناء وتشجيع دوافعهم والسعي لتحقيقها بما هو مفيد .

٣ ـ البحث عن المعلم الكفء لما له من أثر على سلوك المتعلم ، فهدف التربية إصلاح سلوك المتعلم وليس حشو الأذهان بالمعلومات فقط .

اكتشاف النبي ﷺ لتفوق زيد بن ثابت:

ولكي يتأكد النبي -صلى اللّه عليه وسلم- من فطنة زيد وحذاقته كما

(١) صور من حياة الصحابة، ص ٣٥٦ .

يقول أهله اختبر حفظه وذكاءه وجديته لطلب العلم في مواقف منها :

١ ـ سمع منه النبي -صلى اللّه عليه وسلم- بعضاً مما يحفظ ، وفي رواية عن زيد رضي اللّه عنه قال : «فاستقرأني فقرأت (ق)»[١] ، وبعد أن سمع النبي -عليه الصلاة والسلام- بعض السور من زيد فإذا هو مشرق الأداء مبين النطق وإذا تلاوته تنم عن تأثر بما يتلو ، ووقفاته تدل على وعي لما يقرأ وحسن فهم ، فَسُرّ به الرسول صلى اللّه عليه وسلم ووجده فوق ما وصفوه .

٢ ـ نظر النبي -عليه الصلاة والسلام- في كتابته فسر بها وقد كان تعلمه للكتابة بحث من النبي صلى اللّه عليه وسلم . فقد حث النبي غلمان الصحابة على التعلم ، من أسرى بدر . وذلك بعد أن انجلت غزوة بدر عن مقتل سبعين من المشركين ، وأسر سبعين منهم فما كان من النبي -صلى اللّه عليه وسلم- بعد استشارة أصحابه إلا أن قبل الضريبة من الأسرى فأعتق منهم من فدى نفسه بماله ، وكانت الضريبة يومئذ أربعة آلاف درهم ، وكان من تقدير اللّه -عز وجل- أن بعض الأسرى من قريش كان يحسن الكتابة فمن كان منهم لا يملك مالاً يفدي نفسه من الأسر قبل منه -صلى اللّه عليه وسلم- أن يُعلِّم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة ، فإذا فعل ذلك خلى سبيله[٢] ، فما كان من النبي -صلى اللّه عليه وسلم- إلا أن حث غلمان الصحابة على التعلم . فكان زيد بن ثابت أحد غلمان الصحابة الذين تعلموا الكتابة في ذلك اليوم من أسارى بدر وفي هذا دليل على اهتمام الرسول صلى اللّه عليه وسلم بالعلم والكتابة ، وحرصه على الاستفادة من الفرصة المتاحة ، وعدم إضاعة الفرص التي قد لا تتكرر .

كما حرص النبي -عليه الصلاة والسلام- على حسن الخط وجماله لأن الخط الواضح يزيد الحق وضوحاً ، فقد ورد عن زيد بن ثابت أنه قال : قال رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- **«إذا كتبت بسم اللّه الرحمن الرحيم**

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ ٣/ ٣٨٠ (في زيد بن ثابت ، ص ٢٧) .
(٢) زيد بن ثابت ، ص ٦٩ .

فبيِّن السين فيه»(١).

٣ـ طلب منه النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يتعلم اللغات .

أ ـ قول زيد رضي اللّه عنه : «أُتي بي النبي صلى اللّه عليه وسلم مَقدَمُه المدينة، فقالوا : يا رسول اللّه ، هذا غلام من بني النجار ، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة ، فقرأت على رسول اللّه ، فأعجبه ذلك ، وقال : **يا زيد تعلّمْ لي كتاب يهود ، فإني واللّه ما آمنهم على كتابي** . قال : فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته ، وكنت أكتب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا كتب لهم»(٢).

ب ـ يقول زيد رضي الله عنه : قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **"أحسن السريانية إنها تأتيني"** ؟

قلت: لا، قال: "فتعلمها"، فتعلمتها في سبعة عشر يوماً (٣) ويقول ابن عبد البر : كانت ترد على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كتب بالسريانية ، فأمر زيد بن ثابت فتعلمها في بضعة عشر يوماً (٤) .

جـ ـ وذكر ابن كثير أنه تعلم الفارسية من رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً(٥).

د ـ وقيل : إنه تعلم الفارسية من رسول كسرى ، والرومية من حاجب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، والحبشية من خادم النبي صلى اللّه عليه وسلم والقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام (٦).

---

(١) زيد بن ثابت ، ص ٧٥ .
(٢) أخرجه البخاري (في زيد بن ثابت ، ص ٢٧) ، الإصابة ١/ ٥٦١ .
(٣) الإصابة ١/ ٥٦١ .
(٤) الاستيعاب ١/ ٥٥٢ .
(٥) البداية والنهاية ٨/ ٣١ (في زيد بن ثابت ، ص ٧٩) .
(٦) زيد بن ثابت ، ص ٧٩ .

obeikandi.com

وهذا مما يدل على نبوغ زيد منذ صغره وعلى شدة ذكائه وسرعة إنجازه حيث تعلم اللغة اليهودية في نصف شهر والسريانية في سبعة عشر يوماً والفارسية في ثمانية عشر يوماً .

هكذا اكتشف النبي عليه الصلاة والسلام ذكاء زيد بن ثابت من خلال الاختبارات التي تمثلت في بعض المواقف التي تستثير القدرات العقلية ، فاختبارات الذكاء ليست غريبة على المسلمين ، صحيح أنهم لم يعرفوها بصورتها الحالية ، يقول الدكتور إسماعيل عبد الفتاح : «اهتم العرب المسلمون بالذكاء واختبارات الذكاء كثيراً ، في كافة صوره وأشكاله ، وذلك ينبع من اهتمام الإسلام بالعقل البشري الذي هو ما يميزه عن غيره من المخلوقات ، فالذكاء في نظرهم قدرة عقلية ، وهذا ما يماثل أحدث مفاهيم الذكاء العصرية»(١) .

خصائص التفوق عند زيد بن ثابت :

اختص سيدنا زيد بن ثابت رضي اللّه عنه بخصائص عدة لعل من أهمها :

١ ـ سرعة التعلم ودقة الإنجاز :

مما يدل على نبوغه منذ صغره وسرعة التعلم ما قام به من تعلم اللغة اليهودية في نصف شهر ، والسريانية في سبعة عشر يوماً والفارسية في ثمانية عشر يوماً كما أنه تعلم الحبشية والقبطية .

ويبدو أن تعلمه لبعض هذه اللغات لم يقتصر على المحادثة بل كان محادثة وقراءة وكتابة .

روى خارجة عن أبيه ، قال : قدم النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم المدينة وأنا

---

(١) الذكاء وتنميته ، ص ٢٥٦ .

ابنُ إحدى عشرة سنة . وأمره النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم أن يتعلم كتابة اليهود . قال : وكنتُ أكتبُ . فأقرأ إذا كتبوا إليه (١) .

٢ ـ الالتزام بالمهمة:

ومما يدل على مواظبته والتزامه بالمهمة ما قاله ابن عبد البر : كان أبيّ بن كعب ممن كتب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضاً ، وكان زيد ألزم الصحابة لكتابة الوحي ، وكان يكتب كثيراً من الرسائل ، وكان أبيّ وزيد يكتبان الوحي بين يدي رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم-(٢) .

وهذه شهادة من ابن عبد البر تبين أن زيداً كان ألزم الصحابة لكتابة الوحي ، التي كانت من المهام الصعبة التي تستلزم ملازمة النبي -عليه الصلاة والسلام- بصفة مستمرة حيث إن الوحي ليس له وقت محدد بل كان ينزل متفرقاً وحسب الأحداث .

ومما يؤكد التزامه بالمهمة سيرته العطرة في تعلمه اللغات في فترات وجيزة ، كما أنه -رضوان اللّه عليه- كان يلتزم بالمهمة التي يندب لها حتى ينجزها بإتقان مهما كانت صعوبتها ، ومن أمثلة ذلك جمعه للقرآن الكريم ، يقول زيد وهو يصور الصعوبة الكبرى التي شكلتها قداسة المهمة وجلالها : «واللّه ، لو كلفوني نقل جبل من مكانه لكان أهون عليّ مما أمروني به من جمع القرآن» (٣) .

٣ ـ الدافعية الذاتية:

أ ـ ونجد ذلك من خلال بحثه عن مواطن التفوق ، فعندما منع من القتال اتجه إلى العلم بعد أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ سبع عشرة سورة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٢٨ .
(٢) زيد بن ثابت ، ص ٧١ .
(٣) رجال حول الرسول ، ص ٤٩٣ .

ب ـ يقول الرسول عليه الصلاة والسلام حاثاً أمته على طلب العلم والاهتمام بعلم المواريث: **"تعلموا الفرائض وعلموه ، فإني امرؤ مقبوض ، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان أحد يفصل بينهما"** (١).

فلما طرقت كلمات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- آذان زيد بن ثابت رضي الله عنه ما كان منه إلا أن شمّر عن ساعد الجد لتحصيل هذا العلم والخوض فيه ، حتى قام بهذا الأمر أتم قيام ، واضطلع به وتصدى له ، ونهض بأعبائه ، حتى غدا بحق أعلم الصحابة فيه وأشهرهم به كما قال عليه الصلاة والسلام شاهداً له بذلك : **«أفرض أمتي زيد بن ثابت»** (٢).

٤ ـ الميل لفهم النظم المالية المعقدة:

من خصائص زيد بن ثابت أنه يميل إلى فهم المسائل الحسابية المعقدة كالميراث وتقسيمه؛ وهو ما يسمى في الفقه بعلم الفرائض الذي يعتبر من أصعب العلوم وأدقها لما يحتاج من فهم للمسائل الرياضية المعقدة، وهي من المهارات التي لا يتقنها إلا القليل من الناس الذين وهبهم الله قدرات عقلية عالية واستعداداً كبيراً لطلب العلم وبخاصة في ذلك العصر من الزمن، يقول جعفر بن برقان : سمعت الزهري يقول : «لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس» (٣).

٥ ـ الإنجاز المتقن:

لقد قدم زيد بن ثابت أعمالاً جليلة أنجزها بكل إتقان وسرعة، وقد مر بنا الكثير من المواقف فمن إنجازاته :

---

(١) صححه الذهبي في (زيد بن ثابت ، ص ٣٢) وأفرض مشتقه من علم الفرائض أي علم قسمة التركة على مستحقيها .

(٢) الاستيعاب ١/ ٥٥٣ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٦ .

أ ـ تعلمه للغات الأجنبية:

حتى غدا بحق ترجمان الدولة الإسلامية والترجمان له مكانة رفيعة في الدولة ، إذ هو الذي يطّلع على أسرار الدولة وما يأتيها من مراسلات ، أو ما ترسله من مخاطبات ، إذ لا يصح أن يطلع كل إنسان على تلك الكتب الصادرة أو الواردة لئلا تختل الدولة وتكشف أسرارها ، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- عارفاً بهذا غير غافل عنه ، فلذلك طلب من زيد رضي اللّه عنه تعلُّم اللغات .

ب ـ تعلمه لعلم الفرائض:

حتى شهد له رسول البشرية الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى بأن زيد بن ثابت قد أتقن علم الفرائض وتفوّق فيه على غيره . عن أبي قلابة ، عن أنس ، عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : **«أفرض أمتي زيد بن ثابت»**(١) .

جـ ـ كاتباً للوحي :

عندما تعلَّم زيد الكتابة وهو صغير لا يجاوز الثانية عشرة من عمره اختاره النبي -صلى اللّه عليه وسلم- لكتابة الوحي . وهذه المهنة مهنة عظيمة وجليلة يتشرف بها من يعمل فيها ، ولم يمنع زيد صغر سنه مع أهليته عن تولي هذه الوظيفة ، فكان زيد موضع ثقة رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- ، فباشر بأداء هذه المهمة بأمانة وإخلاص مع غيره من الصحابة .

فقد أخرج الطبراني في الكبير برقم ٤٨٨٢ وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٧ ، عن زيد بن ثابت رضي اللّه عنه قال : **كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ فكتبته** (٢) .

---

(١) ذكر المرجع سابقاً .

(٢) زيد بن ثابت ، ص ٧٣ .

وكان النبي يثق به ويحرص على كتابته ، بالإضافة إلى أن زيداً كان متفرغاً لصغر سنه وقلة أعماله .

ويمكن أن نقول : إن كتابة زيد بن ثابت الوحي للنبي عليه الصلاة السلام كانت أحد الأسباب الرئيسة لاختياره لجمع القرآن .

د ـ جمعه القرآن الكريم:

إن لزيد بن ثابت رضي الله عنه خصوصية عظيمة ومزية كريمة وشرفاً عالياً، وأي شرف أعظم من جمع القرآن، وقبل الشروع في المقصود نقول : إن كلمة (جمع القرآن) يراد بها معنيان :

المعنى الأول : حفظه في الصدور وعلى هذا قوله تعالى :

﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) ﴾ .

(القيامة) .

أي جمعه في صدرك ثم تقرؤه (١) .

المعنى الثاني : كتابته في السطور ونسخه في الصحف وهو بهذا جمع أكثر من مرة .

وكانت الكتابة في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- على عسيب النخل والحجارة الرقيقة والرقاع من الجلود وغيرها ، وعظام الأكتاف والأضلاع حسب الأدوات المتيسرة في زمانهم حتى انتهى نزول القرآن كله على النبي -صلى الله عليه وسلم- . فكان كله مكتوباً في عهده ، لكنه لم يكن مجموعاً في موضع واحد ، ولا مرتب السور، ومن هنا يقول زيد بن ثابت : قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن القرآن جمع في شيء (٢) .

(١) زيد بن ثابت، ص ٨٨ .

(٢) فتح الباري ٩ / ١٢ في (زيد بن ثابت، ص ٩٠).

وقد كان زيد بن ثابت رأس من جمعوا القرآن في عهد أبي بكر الصديق وذاك عندما رأى أبو بكر أن كثيراً من الصحابة قتلوا في موقعة اليمامة. وكان عمر أول من أشار على أبي بكر بجمع القرآن الكريم.

وقد اختار أبو بكر -رضي الله عنه- زيد بن ثابت لهذه المهمة العظيمة، وذلك لأنه رأى فيه المقومات الأساسية للقيام بها وهي [١]:

١ ـ كونه شاباً، حيث كان عمره ٢١ سنة، فيكون أنشط لما يطلب منه، وكما قال الشاعر: والخير كل الخير في عصر الشباب

٢ ـ كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له، إذ من وهبه الله عقلاً راجحاً فقد يسّر له سبيل الخير.

٣ ـ كونه ثقة، فليس هو موضعاً للتهمة، فيكون عمله مقبولاً، وتركن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب.

٤ ـ كونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرة سابقة في هذا الأمر، وممارسة عملية له فليس غريباً عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه.

هذه الصفات الجليلة جعلت الصديق يُرشِّح زيداً لجمع القرآن فكان به جديراً، وبالقيام به خبيراً.

٥ ـ ويضاف لذلك أنه أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه: من جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد [٢].

---

(١) زيد بن ثابت، ص ٩٢، بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري ٩/ ٤٦ في (سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣١).

طريقة جمع القرآن :

والطريقة التي اتبعها زيد في جمع القرآن أنه لا يثبت شيئاً من القرآن إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ومحفوظاً من الصحابة ، فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ، خشية أن يكون في الحفظ خطأ أو وهم .

وأيضاً لم يقبل من أحد شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وأنه من الوجوه التي نزل بها القرآن .

فقد أخرج ابن أبي داود عن عروة قال : إن أبا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب اللّه فاكتباه [١] .

وعلى هذا المنهج استمر زيد -رضي اللّه عنه- في جمع القرآن حذراً متثبتاً مبالغاً في الدقة والتحري ، ولم يثبت ما يحفظه هو حتى يجد ما يؤيده ، وفي ذلك يقول زيد رضي اللّه عنه : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب ، كنت كثيراً أسمع رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- يقرأها ، لم أجدها .

كما كان زيد في طليعة من وحّدوا المصاحف في زمن عثمان بن عفان رضي اللّه عنه .

ففي أواخر سنة أربع وعشرين وأوائل سنة خمس وعشرين من الهجرة بعث عثمان بن عفان -رضي اللّه عنه- جيشاً لفتح بلاد أرمينية وأذربيجان ، وكان في الجيش حذيفة بن اليمان كاتم سر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وحدث في هذا الفتح اختلاف كبير يقصه علينا أنس بن مالك خادم رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- فيقول : إنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة

(١) في المصاحف ، ص ١٢ في : زيد بن ثابت ، ص ٩٦ .

اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرّهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا . حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (١) .

ففي هذا الجيش اجتمع أهل الشام وأهل العراق ، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه ، فيأتون في قراءتهم بشيء لم يسمعه أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، فيأتون في قراءتهم بما لم يسمع به أهل الشام ، فنشأ الخلاف بينهم (٢) .

٦ ـ القدرة القيادية :

تميز زيد بن ثابت بكثير من الصفات الحميدة كان من بينها الصفة القيادية التي تتطلب قوة الحجة وسرعة اتخاذ القرار والعلم ومحبة الناس .

من مواقفه العظيمة ذاك الموقف الذي استطاع من خلاله أن يجمع الصف الإسلامي بعد أن كاد يتمزق وتذهب به الأهواء ، فبعد أن توفي النبي -عليه الصلاة والسلام- اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وقالوا : نحن أحق

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، فتح الباري ٩/ ١١ في (زيد بن ثابت ، ص ١١١) .

(٢) زيد بن ثابت ، ص ١١١ .

بخلافة رسول اللّه . وقال المهاجرون: بل نحن أحق، ودب الخلاف بين الفريقين، وكادت الفتنة تقع . فقد روى داود بن أبي هند ، عن أبي نَضرْه ، عن أبي سعيد ، قال : لما تُوفي رسول اللّه ، قام خطباء الأنصار ، فتكلموا ، وقالوا : رجلٌ منا ، ورجلٌ منكم. فقام زيدُ بن ثابت ، فقال : إنّ رسول اللّه كان من المهاجرين ونحنُ أنصاره ؛ وإنّما يكون الإمامُ من المهاجرين ونحنُ أنصاره(١).

وزاد الإمام الطيالسي في مسنده أن أبا بكر قال : (جزاكم اللّه خيراً يا معشر الأنصار ، وثبّت قائلكم ، لو قلتم غير هذا ما صالحناكم) (٢) .

ولنا أن نتخيل لو أن زيد بن ثابت لم يقف هذا الموقف ضد قومه الأنصار لكانت فتنة كبيرة وبخاصة أن كثيراً من الناس قد ارتدوا عن الإسلام وجمعت جيوش عديدة لمحاربة المسلمين في المدينة كما سيأتي في سيرة خالد بن الوليد . إنها السرعة في اتخاذ القرار ، والكلمة المسموعة التي أذعن لها الجميع .

وبلغت ثقة الخلفاء الراشدين بقدرة زيد بن ثابت القيادية أن أخذوا يولونه الحكم في فترة غيابهم ، وأصبح بمثابة ولي للعهد .

قال نافع عن ابن عمر : كان عمر يستخلف زيداً إذا حج وكان عثمان يستخلفه أيضاً على المدينة إذا حج (٣) . وعن يعقوب بن عتبة أن عمر استخلف زيداً ، وكتب إليه من الشام : إلى زيد بن ثابت، من عمر (٤) .

قال خارجة بن زيد : كان عمر يستخلف أبي ، فقلما رجع إلا أقطعه

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٣ ، زيد بن ثابت ، ص ١٦٥ ، صور من حياة الصحابة ، ص ٣٥٨ . وجاء في تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام أن أول مَنْ بايع كان عمر بن الخطاب. ولكي يوفق الباحث بين القولين فإنه يرى: لعل زيداً كان أول مَنْ بايع من الأنصار .

(٢) إسناده صحيح في مسند الطيالسي ٢/ ١٦٩ في (سير أعلام النبلاء٢/ ٤٣٣) .

(٣) الاستيعاب ١/ ٥٥٣ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٤ .

حديقة من نخل[١] ، وقد فرّق عمر كبار الصحابة في الأقطار الإسلامية وأبقى زيداً إلى جانبه في المدينة ليفتي أهلها فإن عنده من العلم ما لا يوجد عند غيره[٢] يظهر لنا من المواقف السابقة قدرة زيد بن ثابت القيادية وما حظي به من مكانة عند الخلفاء جعلته محل إعجابهم : ولم تقتصر خلافته في غياب عمر على الحكم فقط بل شملت كثيراً من وظائف الدولة .

عن سليمان بن يسار ، قال : ما كان عمر وعثمان يقدمان على زيد أحداً في الفرائض والفتوى والقراءة والقضاء [٣] .

كما يظهر لنا الاهتمام بأصحاب العلم وإفساح المجال أمامهم ليظهروا قدراتهم الكامنة ، فالقدرة لا تقتصر على المجال العلمي فقط بل تظهر في مجالات أخرى كما رأينا قدرة زيد بن ثابت في قيادة الدولة حتى نال إعجاب عمر ومكافأته .

ومن الدروس التربوية التي نستخلصها من هذا الموقف أهمية مكافأة المحسن، فالمكافأة لها أثر عظيم على نفسية الإنسان حيث يشعر بتقدير الناس لعمله ومن ثم تزداد دافعيته وعطاؤه للعمل .

٧ ـ حبه للجهاد :

ما إن دخل زيد بن ثابت الإسلام حتى دخل حب الجهاد إلى قلبه رغم صغر سنه ، وحاول مراراً الخروج مع الجيش المسلم إلا أن النبي -عليه الصلاة والسلام- رده لصغر سنه ولم يجزه إلا في غزوة الخندق بعدما بلغ الخامسة عشرة[٤] ، وكان النبي -عليه الصلاة والسلام- يطيب قلوب الصغار عندما

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٤ ، الإصابة ١/ ٥٦٢ .
(٢) زيد بن ثابت ، ص ١٧٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٤ .
(٤) زيد بن ثابت ، ص ١٤٦ .

يردهم عن الجهاد ، ويوكل لهم مهمة تتناسب مع أعمارهم بأن يكونوا حرساً على الذرية [١] .

وفي هذا اليوم العصيب (يوم الخندق) كان بلاء زيد حسناً ، فسر به النبي كما تقدم، وقد بقي يعمل حتى غلبه التعب والنصب، وهو شاب طري العود، وجرى له في هذا اليوم حادث طريف ، وذلك لما أدركه الجهد من عمله طيلة النهار ما كان منه إلا أنْ غلبته عيناه فنام ، فجاء عُمارة بن حزم فأخذ سلاحه وهو لا يشعر ، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **"يا أبا رُقاد نمت حتى ذهب سلاحك ؟"** ثم قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم : **"من له علم بسلاح هذا الغلام ؟" فقال عمارة بن حزم : أنا يا رسول اللّه ، فرده، فنهى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يروّع المؤمن، وأنْ يؤخذ متاعُه لاعباً وجداً** [٢] .

وقد أعجب النبي -عليه الصلاة والسلام- قائد المعركة بذلك الجندي الصغير الذي يخوض أول تجاربه في القتال ، فقال في حقه : **"أما إنه نعم الغلام"**[٣]. ويُروى عن زيد أنه قال : «أجازني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يوم الخندق وكساني قبطية»[٤] .

وكان المشهد الثاني الذي شهده زيد مع النبي -عليه الصلاة والسلام- هو غزوة بني قريظة ، وكانت في سنة خمس من الهجرة ، وقد غنم المسلمون منها غنائم كثيرة . ورجع زيد بن ثابت فرحاً مستبشراً بما تحقق من نصر وغنائم [٥] .

كما خرج -رضي اللّه عنه- في غزوة تبوك وأعطاه النبي عليه الصلاة والسلام راية بني النجار [٦] .

---

(١) صور من سير الصحابة ، ص ٨٨ بتصرف .
(٢) زيد بن ثابت ، ص ١٤٨ .
(٣) الاستيعاب ١/ ٥٥٢ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٣٢ ، والقبطية : ثوب رقيق من ثياب مصر .
(٥) زيد بن ثابت ، ص ١٤٩ .
(٦) الإصابة ١/ ٥٦١ .

ومن مشاهده بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- موقعة اليمامة في حروب الردة، حيث أُصيب بسهم لكنه لم يضره [١] واشترك رضوان الله عليه في معركة اليرموك وتولى قسمة الغنائم بين المسلمين وكانت غنائم كثيرة[٢].

من الدروس التربوية التي نأخذها من جهاده :

- أن التفوق لا ينحصر في مجال واحد بل يتعدد كما رأينا ذلك في سيرة زيد بن ثابت .

- يمكن تدريب الفتى عسكرياً من سن الخامسة عشرة .

- عدم السماح للصغير بالخروج في الحرب مراعاة لأمور منها النفسية والانفعالية إضافة إلى عدم قدرته على مقاومة أهوال القتال .

- أهمية اتباع الأسلوب الحسن في منع الطفل وعدم الموافقة على طلبه، كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- في تطييب قلوب الصغار عندما يردهم عن القتال، فإن المنع بلا تبرير قد يولد ردة فعل سيئة فضلاً عن الضيق النفسي وعدم الارتياح، فلذلك عوضهم النبي -عليه الصلاة والسلام- بوظيفة تناسب قدراتهم بأن يكونوا حرساً على الذرية ، مما يجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا كالأطفال والنساء.

- مشروعية التشجيع المادي للمبتدئ في العمل لكسر حاجز الرهبة من نفسه وزيادة دافعيته كما فعل النبي -عليه الصلاة والسلام- عندما كسا زيد بن ثابت القبطية .

- الأدب النبوي الرفيع ، والخلق البديع ، الذي ينهى عن ترويع المؤمن وإخافته بأي سبب من الأسباب ، وعن أخذ متاعه وسلاحه سواء كان الفاعل

---

(١) الاستيعاب ١/ ٥٥٣ .

(٢) الإصابة ١/ ٥٦١ .

لاعباً أو جاداً ، ولا سيما أن الموقف موقف حرب وشدة حتى لا تحبط عزائم المؤمنين في القتال أو يلقى الرعب في صدورهم(١) .

- إثبات تفوق زيد في الجهاد حتى إن النبي -عليه الصلاة والسلام- سلمه راية بني النجار في غزوة تبوك ، كما تولى قسمة الغنائم في موقعة اليرموك مما يثبت قدرته الحسابية ، حيث إنه خص بتوزيع الغنائم من بين الصحابة .

وفاتـــه:

اختلف في وفاته -رضي الله عنه- على أقوال . ولعل أصحها ما ذكره الواقدي وهو أمام المؤرخين: مات سنة خمس وأربعين عن ست وخمسين سنة(٢).

توفي -يرحمه الله- والناس لا يزالون في حاجة إلى علمه وفقهه يقول أبو هريرة حين مات زيد بن ثابت : «اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل في ابن عباس منه خلف» (٣) .

وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

---

(١) زيد بن ثابت ، ص ١٤٩ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٤١ .
(٣) الإصابة ١/ ٥٦٢ .